﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠﴾ [السجدة: 20]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

يختلف الجزاء يوم القيامة بحسب اختلاف الأعمال في الدنيا

بعد أن ذكر في الآية السّابقة الفريقَ الأوَّل، وهم الذين آمنوا وعملوا الصّالحات وما أعدَّه اللّه لهم منَ النُّزل الكريم، جاءت هذه الآية بذكر الفريق الثّاني، الذين خرجوا عن الإيمان باللّه وطاعته، وذكرِ الجزاء المُعدَّ لهم بقوله: ﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾ التي يُخلَّدون فيها ولا يجدون مهربًا من الخروج منها كلَّما أرادوا الخروج.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

العذاب يوم القيامة أنواع

وأمّا الذين كفروا باللّه وخرجوا عن الطّاعة فمأواهم النّار التي يأوون إليها ويستقرُّون فيها، ثمَّ ذكر تعالى سوء حالهم فيها، فقال: كلَّما عزموا على الخروج منها من شدَّة العذاب والأهوال، أُعيدوا فيها، بسبب تكذيبهم، وقيلَ لهم تأنيبًا وتقريعًا: ذوقوا عذاب النّار الذي كنتم به تُكذِّبون.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة التَّعبير بالواو في قوله: ﴿وَأَمَّا﴾:

ربطُ جزاء الفريقَين إتمامًا للحكم

(أمّا) في اللُّغة دالَّة على التَّفصيل، غير أنَّ دلالتَها على التَّفصيل تتعلَّق بتكرارها، وقد جاءت ﴿وَأَمَّا﴾ مُكرَّرةً بعد العطف بالواو، فالواوُ هنا هي التي ربطت الفريقَين فكان الحكم تامًّا بيِّنًا.

دلالةُ التَّعبير بـ(أمّا) في النَّظم الكريم:

جاءت الآيةُ الكريمة مسبوقةً بـ(أما) لتُؤكِّد دلالة التَّفصيل في الآية السّابقة عليها: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، مع الدَّلالة على التَّوكيد

الذي يُزيلُ الشَّكَّ من نفس المُخاطب، وتُمَكِّنُ الحقيقةَ من نفسه بحيثُ يرسخ في الذِّهن مصيرُ الكفّار، وتُفيدُ الشَّرط بدليل وجود الفاء في الجواب ﴿فَلَهُمْ﴾، وهذا يدلُّ على قُبحِ عاقبة الفاسق، وفي هذا بيانٌ للعدل المُطلق لله ﷻ، وبيانُ قوَّة الارتباط بين الشَّرط والجواب؛ تحذيرًا للفاسق.

تفصيلُ حال الكافر ورفعُ الشَّكِّ وربطُ الجزاء بالعمل

دلالةُ التَّعبير بالاسم الموصول وصلتِه: ﴿ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾:

في إيثار القرآن للاسم الموصول مع صلته: ﴿ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ إيماءٌ إلى ثبات ذلك الفسق في نفوسهم، وظهورِه في سلوكهم وطبائعِهم، فالجملة الموصولةُ أفادت الذَّمَّ والتَّقريع، "فإتيانُ الموصول الماضي قُصِد به التَّلبُّسُ والاستصحاب"[1]، كما أنَّ الاسم الموصول مع الفعل الماضي دلَّ على زمانٍ ماضٍ مُحدَّدٍ، والضَّمير (واو الجماعة) في ﴿فَسَقُواْ﴾ فيه قصديَّةُ الفسق والتَّوجُّه إليه بكلِّ حواسِّهم ومشاعرهم، فكان الأولى التَّعبير بالاسم الموصول، إضافةً لذلك فيه مُشاكلة؛ فهو مُناسبٌ للآية التي قبلَها التي وصفَت المُؤمنين بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فثمَّ تناسبٌ بين الآيتَين في التَّعبير بالموصول وصلتِه، ويُمكن أن يُقال: إنَّ التَّعبير بالموصول فيه تشويقٌ إلى ذكر الصِّلة، وفيه بيانٌ لمأواهم القبيح.

ثباتُ الفسق في نفوسهم وظهورُه في سلوكهم

دلالةُ التَّعبير بالفاء في قوله: ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ﴾:

الفاء رابطةٌ للنَّظم هنا، وتدُلُّ على أنَّ التَّركيب تركيبُ شرط، فهي واجبةٌ بعد (أمّا) الشَّرطيَّة، وتدلُّ في أحشائها على شدَّة ترابطِ الشَّرط بالجواب فكأنَّه قال: (هؤلاء الفاسقون لن يُؤخَّرُ عذابهم)، فثمَّ اتِّصالٌ وثيقٌ بين الشَّرط والجواب بوجود الفاء.

ارتباطُ الجواب بالشَّرط وسرعةُ العذاب

نكتةُ التَّعبير بـ﴿ٱلْمَأْوَىٰ﴾ للفاسقين:

المأوى هو المكان الذي ينزلُ فيه الإنسان على هواه، أمّا هؤلاء

التَّهكُّم والسُّخرية بالفاسقين

(1) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الثالث الجزء الأول، ص: 187.

فينزلون هنا رُغمًا عنهم، فهو لا يحمي وإنَّما يُخيف ويُرهِبُ، ويحتمل في الكلام وجهًا آخرَ، وهو أنَّ الكلام هنا على سَبْق التَّهكُّم والسُّخريةِ، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: 21][1]، ففي الوقت الذي يتوقَّعون فيه الحماية والكلاءة تفجَؤُهم النّارُ بعذابها ولهيبها، ويجوز أن يكون من باب المُشاكلةِ؛ لأنَّه لمّا ذكر أحد الفريقَين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بأنَّ لهم جناتِ المأوى، ذكر في الصِّنفِ الآخرِ ﴿ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ فمأواهُم النّار[2].

بلاغةُ المُقابلة بين جزاء الفريقَين:

بُعد المنزلتَين تكريمًا وإهانةً مع العدالة المُطلقة

المُقابلة تُحدِثُ في النَّفس تفكيرًا تلوَ تفكير ببيان الحُسنِ والقُبحِ في آنٍ واحد، فبضدِّها تتميَّز الأشياء، ففي ذكر الجنّات في جَناب المؤمنين تنشيطٌ للذِّهن وتعزيزٌ له بضرورة التَّمسُّك بالعمل الصّالح نيلًا لجزائِه، في مُقابل القُبح في سوء عاقبة الفاسقين بالنّار، وفيه أيضًا إعمالٌ للعقل وتنبيهٌ للفكر بضرورة ترك كلِّ ما يُقرِّب منها وتُجنِّبه، فكانت المُقابلة دليلًا على بُعد ما بين الجزاءَين رفعةً وسُفولًا، وإشارةً إلى تكريم فريقٍ وتحقيرِ فريقٍ، وبيانًا للعدالة الإلهيَّة التي تجزي كلًّا بما عمل، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

نكتةُ ذكر العمل مع المؤمن وعدمِ ذكرِه مع الفاسق:

العملُ المُعتَبر يوم القيامة هو العمل المحمودُ

ذكرُ العمل الصّالح مع الإيمان في قوله: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دليلٌ على أنَّ العمل الصّالح له مع الإيمان أثرٌ، أمّا الكفر إذا جاء فلا التفاتَ إلى الأعمال، فلم يقل: (وأمّا الذين فسقوا وعملوا السَّيِّئات)؛ لأنَّ المرادَ من ﴿فَسَقُواْ﴾: كفروا، ولو جُعِل العقاب في مُقابلة الكفر والعمل، لظنَّ ظانٌّ أنَّ مُجرَّد الكفر لا عقابَ

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 11843.
(2) ابن تمجيد، حاشية ابن التمجيد على القونوي: 15/ 274.

عليه، وإنَّما العقابُ على العمل[1]، وهذا يدلُّ على أنَّه لا قيمةَ لعملٍ مع كُفرٍ؛ لذا لم يذكر العمل مع الفَسَقة.

نكتةُ فصلِ قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ﴾ عن سابقتِها:

بـيـانُ كـون العذاب جسديًّا ونفسيًّا

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ﴾ عمّا قبله لأنَّه استئنافٌ لبيانِ كيفيَّةِ كونِ النّارِ مأواهم؛ يُروَى أنَّه يضربُهم لهَبُ النّار فيرتفعون إلى طبقاتِها حتَّى إذا قربُوا من بابِها وأرادُوا أن يخرُجوا منها يضربُهم اللَّهبُ فيهوُون إلى قعرِها، وهكذا يُفعَلُ بهم أبدًا[2].

بلاغةُ التَّعبير بـ﴿كُلَّمَآ﴾ في الآية:

تكرارُ العمل مرَّةً تلوَ مرَّةٍ

تتمثَّلُ أبلغيَّةُ ﴿كُلَّمَآ﴾ في أنَّها دالَّةٌ على التَّكرار، والتَّكرارُ إعادةُ محاولةٍ مرَّةً تلوَ مرَّةٍ، فهم مُجتهدون اجتهادًا عظيمًا في النَّأي بأنفُسِهم عن العذاب، وفي مُحاولتهم تكرارَ الهروب إشارةً إلى شدَّة العذاب الذي يتلقَّونه مع غِلَظِه وقسوتِه.

دلالةُ الفعل: ﴿أَرَادُوٓاْ﴾ في السّياق:

الـحـذفُ مع دلالة المُشارفةِ

دلَّ الفعل ﴿أَرَادُوٓاْ﴾ على أنَّ هناك محذوفًا في السّياق، وتقديرُ الكلام: (كلَّما أرادوا أنْ يخرُجوا منها فخرجوا أُعيدُوا فيها)، وقد يكون الفعل هنا دالًّا على المُداناة والمُشارفة؛ كقولِه: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: 77][3]؛ أي: شارَفَ على أن ينقَضَّ.

فائدةُ التَّعبير بالمصدر المُؤوَّل: ﴿أَن يَخۡرُجُواْ﴾:

المُـحـاولـة المُـسـتـمـيـتـةُ للخروج في كلِّ وقتٍ

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالمصدر المُؤوَّل: ﴿أَن يَخۡرُجُواْ﴾ دونَ المصدر الصَّريح (الخروج)؛ لأنَّ المصدر المُؤوَّل لا يُوصَفُ، فكأنَّهم حاولوا الخروج الذي لا وصفَ له تأكيدًا على مُحاولتهم المُستميتة في الخروج، ثمَّ إنَّ المصدر المُؤوَّل دالٌّ على الزَّمن والحدَثِ، فالحدثُ مُحاولةُ الخروج، والزَّمن هو الحالُ والاستقبال بدلالة الفعل

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 147.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 86.
(3) النيسابوري، تفسير النيسابوري: 5/ 71.

المضارع، أمّا المصدرُ الصَّريحُ فهو حدَثٌ غيرُ مُقترنٍ بزمنٍ، ففي المصدر المُؤوَّل دلالتان، أمّا الصَّريحُ ففيه دلالةٌ واحدة.

دلالةُ التَّعبير بـ (مِنْ) في قوله: ﴿مِنْهَآ﴾:

دلَّت (مِنْ) هنا على ابتداء الغاية؛ فهم لم يُطيقُوا ما هم فيه، فبمُجرَّد تعذيبهم أرادوا الفرارَ هارِبين منَ العذاب البئيس.

عدمُ احتمالِهم شدَّةَ العذاب بمجرَّدِ دخولهم النّار

دلالةُ بناء ﴿أُعِيدُواْ﴾ لِما لم يُسمَّ فاعلُه:

جاء الفعلُ في قوله تعالى: ﴿أُعِيدُواْ﴾ مبنيًّا لما لم يُسَمَّ فاعلُه؛ تركيزًا على حالةِ الإعادة، فكأنَّ الإعادة تتمُّ بلا مُهلةٍ أو توانٍ؛ نظرًا لارتباط الجوابِ: ﴿أُعِيدُواْ﴾ بفعل الشَّرط ﴿أَرَادُوٓاْ﴾، وقد يُقالُ: إنَّ البناء هنا يدُلُّ على كثرة المُتابعين لحركاتِ وسكناتِ الفَسَقة، فليس المُعيدُ واحدًا، وإنَّما قد يتعدَّدُ ويتمدَّدُ، وفي البناء لما لم يُسمَّ فاعلُه تمهيدٌ للفعل الذي يليه: ﴿وَقِيلَ﴾ كي يكون بين الفعلَين تناسبٌ وتناسقٌ.

التَّركيز على عمليَّة الإعادة مع كثرة المُتابعين لهم

نكتةُ التَّعبير بالظَّرفيَّة ﴿فِيهَا﴾ دونَ (إليها):

المعنى الأصيلُ للحرف (في) هو الظَّرفيَّةُ، والظَّرفيَّةُ احتواءٌ وضمٌّ، فكأنَّهم أُعيدوا إلى وسطها؛ إمعانًا في العذاب والتَّنكيل بهم، فكما كنتم رؤوسًا في التَّكذيب ستكونون رؤوسًا في الإهانةِ والتَّهكُّم والتَّحقير، فدلالةُ (في) تعني الاستقرارَ والثَّبات، ويكون المعنى: كلَّما أرادوا أن يخرُجوا منها فخرجُوا من مُعظمِها أُعيدوا فيها، وهذا المعنى يُشير إليه التَّعبير بقوله: ﴿فِيهَا﴾ دونَ إليها[1].

شدَّةُ عذاب الفَسَقة تنكيلًا واستهزاءً

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾:

دلَّت الواو هنا على اجتماع عذابَين: عذابِ الإعادة، وعذابِ المُراقبة والقول بالرُّجوع، فكان فيها شدَّةُ الزَّجر والتَّخويف مع الإغاظةِ والشَّماتة بهم.

الجمعُ بين العذابين

(1) الآلوسي، روح المعاني: 21/ 134.

نكتةُ بناء الفعلِ: ﴿وَقِيلَ﴾ لما لم يُسمَّ فاعلُه:

التَّركيز على القول مع تعدُّدِ القائلين

بناء الفعل: (قيلَ) لما لم يُسمَّ فاعلُه في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ دالٌّ على التَّركيز على القول لا القائل؛ لأنَّ في القول إغاظةً لهم، فإنَّ في القول تشديدًا عليهم وزيادةً في غيظِهم[1]، فقرعُ أسماعِهم بهذا المكروه هو مُضاعفةٌ للبلاء، ومُزاوجةٌ بين المكروه والمكروه، فهو الزَّجر والتَّأنيبُ وزيادةُ الحسرة في قلوبهم، كما أنَّ للحديث عن المحبوب لذَّةً في السَّمع، ووقعًا في القلب، إلى ما له من لذَّةٍ في مرأى العين، ومذاقِ اللِّسانِ[2].

ويُمكنُ أن يُقالَ: إنَّ السَّبب في البناء لما لم يُسمَّ فاعلُه تعدُّدُ القائل، فقد يكون القائلُ لهم هذه المقالة خزنةَ جهنَّم منَ الملائكة، أو القائلُ لهم اللهُ ﷻ[3].

دلالةُ اللّام في قوله: ﴿لَهُمْ﴾:

تخصيصُ العذاب ترصُّدٌ ومُراقبةٌ

دلَّت اللّام هنا على تخصيصِهم بالقول، فالعذابُ سيفٌ مُصْلَتٌ على رقابِهم، لا يستطيعون فكاكًا، والتَّخصيصُ ترصُّدٌ ومُتابعةٌ إضافةً إلى ما فيه من قصديَّةٍ، فكما قصدوا التَّكذيب، فالعذابُ قاصدُهم مُتربِّصٌ بهم.

دلالةُ التَّعبير بالأمر في قولِه: ﴿ذُوقُواْ﴾:

الجزاءُ مِن جنس العمل

عبَّر النَّظم الكريم بالأمر في قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ تهكُّمًا وسخريةً، فإذا كنتم تسخرون منَ العذاب ولا تعترفون به فإنّا نسخرُ منكم كما كنتم تسخرون.

بلاغةُ الاستعارة في قولِه: ﴿ذُوقُواْ﴾:

قوَّةُ العذاب وتجدُّدُه

عبَّر النَّظم الحكيم بالفعل: ﴿ذُوقُواْ﴾، لما فيه منَ الإشارة إلى معنًى

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 86.
(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 11/ 623.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 293.

حكميٍّ، وهو أنَّ المُؤلم إذا تمكَّنَ، والألمَ إذا امتدَّ؛ لم يبقَ به شعورٌ تامٌّ، وهنا إشارةٌ إلى أنَّ الألمَ لا يسكنُ عنهم، بل يردُ عليهم في كلِّ حالٍ أمرٌ مُؤلمٌ يُجَدَّدُ[1]، فكانت الاستعارةُ هنا دالَّةً على ألمٍ مُتجدِّدٍ لا يسكنُ ولا يهدأُ، فاستعارَ الفعلَ ﴿ذُوقُواْ﴾ ليُمثِّل تجربةَ المُعاناةِ أو الألمِ النّاتجِ عن العذاب، ممّا يُعطي انطباعًا حسّيًّا للمُستمع حولَ شدَّة هذا العذاب، على الرُّغم من أنَّه لا يُمكنُ تذوُّقُ العذاب كما يُذوقُ الطَّعامَ.

نكتةُ إظهارِ ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ في موضع الإضمار:

التَّهديدُ وحكايةُ القول

الإظهار في موضع الإضمار فيه نُكتتان، الأولى: أنَّ سياق الآية التَّهديدُ، وفي إظهار لفظ النّار منَ التَّخويف ما ليس في الإضمار[2]، الثّانية: أنَّ الجملة الواقعةَ بعد القول حكايةٌ لما يُقالُ لهم يوم القيامة عند إرادتهم الخروجَ منَ النّار، فلا يُناسب ذلك وضع الضَّمير؛ إذ ليس القولُ حينئذ مُقدَّمًا عليه ذكرُ النّار، وإنَّما ذكرَها سُبحانه قبلُ إخبارًا عن أحوالهم[3].

دلالةُ التَّعبير بالاسم الموصول وصلتِه في: ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾:

ثباتُ التَّكذيب في نفوسِهم وظهورُه في سُلوكِهم

في إيثار النَّظم التَّعبير بالموصول مع صلتِه: ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ إيماءٌ إلى ثبات ذلك التَّكذيب في نفوسِهم، وظُهورِه في سلوكِهم وطبائعِهم، فالجملةُ الموصولة أفادَت الذَّمَّ والتَّقريع، "فإتيانُ الموصول الماضي قُصِدَ به الالتباسُ والاستِصحابُ"، إضافةً إلى ذلك أنَّ الاسم الموصولَ مع الفعل الماضي دلَّ على زمانٍ ماضٍ مُحدَّدٍ،، كما أنَّ الضَّمير (واو الجماعة) في ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ فيه قصديَّةُ الكذب والتَّوجُّه إليه بكلِّ حواسِّهم ومشاعرهم، فكان الأولى التَّعبيرَ بالاسم الموصول، ويُمكن أن يُقالَ: إنَّ التَّعبير بالموصول فيه تشويقٌ إلى ذكرِ الصِّلة.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 147.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 231.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 21/ 134.

دلالةُ الباء في قوله: ﴿كُنتُم بِهِۦ﴾:

الباء في قوله تعالى: ﴿كُنتُم بِهِۦ﴾ سببيَّةٌ، فكأنَّهم اتَّخذوا العذاب ونارَه سببًا للتَّكذيب ومُحاولةِ التَّنفير من ذلك العذاب.

نكتةُ تقديم شبه الجملةِ: ﴿بِهِۦ﴾:

الاهتمامُ بالمُتقدِّم ومُراعاةُ رُؤوس الآي

التَّقديم هنا غرضُه الاهتمام بالمُتقدِّم وهو العذابُ، فالتَّركيز عليه لعِظَمِه وشدَّتِه، ثمَّ في التَّقديم مُراعاةٌ لجانبٍ صوتيٍّ هو رؤوسُ الآي، فلو جاء التَّركيبُ على أصلِه بأنْ قيلَ: (كنتم تُكذِّبون به) لَما رُوعي رُؤوسُ الآي الذي بُنيت عليه السُّورةُ من مثلِ: ﴿يَسْتَوُۥنَ﴾، ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

فائدةُ التَّعبير بـ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

استمراريَّةُ الكذب وعدَمُ انفِكاكِهم عنه

توظيفُ الفعل المضارع دالٌّ على طبيعةٍ واستمراريَّةٍ في التَّكذيب، فكأنَّهم جعلوا الكذبَ مركبًا يسيرون به ولا يتركونه قيدَ أنملةٍ، فصار علامةً على سُلوكِهم، وصاروا مُستحقّين شدَّةَ العذابِ لشدَّةِ التَّكذيبِ، ولعلَّ الصّيغة الصَّرفيَّةَ للفعل (كذَّبَ) دالَّةٌ على شدَّةِ التِصاقِهم بالكذبِ، فـ(كذَّبَ) بوزن (فعَّلَ)، والمعنى الصَّرفيُّ: النَّسبُ إلى الكذبِ[1]، فـ(كذَّبَ)؛ أي، نُسِبَ للكذبِ، والمنسوب لشيءٍ لا ينفكُّ عنه، ففي المضارع والصّيغة الصَّرفية قدحٌ وذمٌّ لطريقتِهم في الحياة.

دلالةُ حذف مُتعلَّق: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾:

التَّشنيعُ عليهم لعموم تكذيبهم

حُذِفَ مُتعلَّق ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ لإفادة العموم، حيث كذَّبوا بكلِّ ما يجبُ الإيمانُ به عقيدةً وشريعةً؛ فكذَّبوا اللّه ورسولَه، وكذَّبوا آياتِ القرآن وما فيه من أحكامٍ.

رابعًا: المُتشابهُ اللَّفظيُّ:

تشابهَتْ هذه الآيةُ مع الآية في سورة الحجِّ في قولِه: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ

(1) الشيخ الحملاوي، شذا العرف، ص: 31.

تـعـدُّدُ أنـمـاطِ الـعـذاب في سورةِ الحجِّ دونَ الـسَّـجـدةِ داعٍ لذكرِ (من غَمٍّ)

﴿أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: 22]، والنّاظرُ في الآيتَين يجدُ أنَّ قوله: ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ [الحج: 22] ذُكر في سورة الحجِّ دونَ سورة السَّجدة، وسرُّ ذلك أنَّ المُراد بالغمِّ الكربُ والأخذُ بالنَّفسِ حتَّى لا يجدَ صاحبُه مُتنفَّسًا، وما قبلَه منَ الآيات يقتَضي ذلك، وهو: ﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ [الحج: 19] إلى قوله ﴿مِنۡ حَدِيدٖ ٢١﴾ [الحج: 21]، فمَن كان في ثيابٍ من نارٍ، وفوقَ رأسِه حميمٌ يذوبُ من حرِّه أحشاءُ بطنِه، حتَّى يذوبَ ظاهرُ جلدِه، وعليه مُوكَّلون يضربونه بمقامعَ من حديدٍ، كيف يجدُ سرورًا، أو يجدُ مُتنفَّسًا من تلك الكُرَب التي عليه؟.

وليس في السَّجدة من هذا ذكرٌ، وإنَّما قبلَها: ﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[1]، فكان تعدُّدُ أنماطِ العذاب في سورة الحجِّ داعيًا إلى ذكرِ ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ [الحج: 22]، وهذا ما خلَتْ منه سورة السَّجدةِ.

تكرارُ مادَّة القول في السَّجدة دونَ الحجِّ

ومنَ المُتشابه أيضًا نكتةُ ذكرِ القولِ: ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ﴾ في السَّجدةِ، وعدمِ ذكرِه في الحجِّ: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ [الحج: 22].

القولُ في سورة الحجِّ مُضمَرٌ، وخُصَّ بالإضمار؛ لطولِ الكلام بوصفِ العذاب، وما في السَّجدة بالذِّكر لقِصرِه، وخُصَّت السَّجدةُ بالإظهار مُوافقةً للقول قبلَه في مواضعَ، منها: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ [السجدة: 3]، ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا﴾ [السجدة: 10]، ﴿۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم﴾ [السجدة: 11]، و﴿حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾، وليس في الحجِّ شيءٌ منه، ثمَّ في ذكر القول في السَّجدة إشارةٌ إلى تعدُّدِ القائلين، وفيه إشعارٌ بمُراقبة أعمالهم وتحرُّكاتهم، وفي هذا تخويفٌ وترهيبٌ لهم، أمّا آيةُ الحجِّ فيكفي ما فيها من ترهيبٍ بذكر تقطيع الثّياب

(1) الكرماني، أسرار التكرار: 1/ 181.

وصبِّ الحميمِ فوق الرَّأس، ووُجودِ مقامعِ الحديد، فهذا كافٍ شافٍ في التَّخويف والزَّجر، فلم تكن المسألةُ مُحتاجةً إلى القول؛ لأنَّ ما هم فيه لا يحتاجُ قولًا؛ فالفعلُ هنا أبلَغُ منَ القول.

وقد يُقالُ: إنَّ ذكر القول في السَّجدة هنا في الآية العشرين: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ هناك قولًا محذوفًا في الآية الرابعةَ عشرةَ: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ﴾ ... ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ فكان التَّناسبُ حاصلًا بين أجزاء السُّورة.

ومنَ المُتشابه اللَّفظيِّ أيضًا:

قولُهُ تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ تشابهَ مع قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبأ: 42]، والنّاظرُ في الآيتَين يجدُ اختلافًا في التَّعبير بالاسم الموصول، والضَّميرُ في سورة السَّجدة جاء بالتَّذكير، أمّا في سورة سبأ فقد جاء بالتَّأنيث.

وذلك لثلاثةِ أوجُهٍ: **الأوَّل**: أنَّه خصَّ العذابَ في السَّجدة بالوصفِ اعتناءً به لمّا تكرَّرَ ذكرُه في قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: 21]، فكان المُناسبُ أن يُوصفَ العذابُ في سورة السَّجدةِ فيُقالَ: ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

الثّاني: أنَّه تقدَّمَ في السَّجدة ذكرُ النّار: ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾، فكان الأصلُ أن يذكرها بعد ذلك بلفظ المُضمر، فيُقال: (ذوقوا عذابها)، لكنَّه جعلَ الظّاهر مكان المُضمر، فكما لا يُوصَفُ المُضمر لم يُوصَفْ ما قام مقامَه، وهو النّارُ، فوصفَ العذابَ في سورة السَّجدة بالأدنى والأكبر، ولم يصفِ النّارَ.

الثّالث: أنَّه امتنعَ في السَّجدة وصفُ النّار، فوُصِفَ العذابُ، وإنَّما امتنع وصفُها لتقدُّم ذكرِها، فإنَّك إذا ذكرت شيئًا ثمَّ كرَّرت ذكرَه لم يجُزْ وصفُه، كقولك: (رأيتُ رجلًا فأكرمتُ الرَّجلَ)، فلا يجوزُ وصفُه؛ لِما يُوهمُ أنَّه غيرُه[1].

وقد يُضافُ إلى تغايُر الوصف أنَّ الذي في السَّجدةِ: ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ في حقِّ مَن يُقرُّ بالنّار ويجحَدُ العذابَ، وفي سبأ في حقِّ مَن يجحدُ أصلَ النّار:

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 396.

﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبأ: 42]، ويحتملُ أنَّ الذي في السَّجدةِ وصفَ النّار أيضًا، وذُكِّرَ حملًا على معنى الحريقِ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المَسُّ والذَّوقُ:

المَسُّ أوَّلُ مُلاقاةِ الجسمِ للنّار، أمّا الإذاقةُ فهي أوَّلُ مُلاقاةِ الطُّعومِ للِّسانِ[2]، والمَسُّ يكونُ فيما فيه إدراكٌ بحاسَّةِ اللَّمسِ، ويكونُ في كلِّ ما ينالُ الإنسانَ من أذًى[3]، وأصلُه فيما يقِلُّ، أمّا ما كثُرَ فيُطلَقُ عليه الأكلُ، وقد كثُرَ استخدامُ الذَّوقِ في العذابِ في لغة القرآن، وإنْ جاء في الرَّحمةِ[4].

المَسُّ يكونُ فيما فيه إدراكٌ بحاسَّةِ اللَّمسِ

(1) الزركشي، البرهان: 2/ 63.
(2) عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني: 2/ 446.
(3) الراغب، المفردات: (مسس).
(4) الراغب، المفردات: (ذوق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»